وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أم البواقي
قسم العلوم السياسية، رقم الهاتف : 032-56-31-38
Site : http://www.univ-oeb.dz/fdsp/ Email : politicaldeprtoeb@gmail.com

أستاذ المادة: د. عبد الرحمان فريجة
Abderrahmane.fridja@univ-oeb.dz

المحاضرة الثالثة:
ـ المنهج التاريخي ـ

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ليسانس علوم سياسية
تخصص جذع مشترك **السداسي الثاني**
للسنة الجامعية (2024/2023)

مقدمة: هل المنهج التاريخي في البحث منهج علمي؟

عادة ما يثار في أدبيات ***"علم المنهج"*** سؤال حول ما إذا كان **"المنهج التاريخي"** في البحث "منهجا علميا"، بناء على أننا في المنهج التاريخي لا نعتمد على التجربة العلمية الضابطة والدقيقة للتوصل إلى النتائج، أي؛ لا يمكن استخدام ***"الملاحظة المباشرة الدقيقة"*** ، ولا يمكن أن نكرر" الحصول على حقائق ووقائع علمية محددة. والإجابة على ذلك، أن المنهج التاريخي منهجي علمي إذا حرص الباحث على مراعاة وتطبيق خصائص وأسس المنهج العلمي في الدراسات التاريخية، وليست التجربة لوحدها أو التوصل لقوانين وتعميمات معينة بخصائصها كما في العلوم الطبيعية، هي التي تحدد فقط أو تفرق بين المنهج العلمي وغير العلمي، وإنما هناك معايير وخصائص أخرى كالدقة والصحة، والموضوعية والأمانة الفكرية، والقياس ، وإدراك العلاقات، وجمع المعلومات وتنظيمها والتحقق منها وإثبات صحتها، واستخدام أسلوب فرض الفروض، والتحليل والتفسير، والتوصل إلى نتائج تساعد على فهم الحاضر بربطه بالماضي مع إمكانية التنبؤ بالمستقبل؛ وهي جميعها تجعل المنهج التاريخي منهجا علميا.

لذلك، يهتم الباحثون عامة بالمنهج التاريخي، ولأهميته، يستخدم في كل المجالات تقريبا، وبدرجات متفاوتة في العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية وغيرها.

تعريف المنهج التاريخي:

على الرغم من الاختلاف في تعريف المنهج التاريخي، فإنه يمكن تعريف "منهج البحث التاريخي"، بأنه:

- الطريقة التي يستخدمها الباحث رجوعا إلى الماضي للوصول إلى الحقيقة، أي الطريقة التي يستخدمها في جمع البيانات والمعلومات وتحليلها تحليلا موضوعيا، ويختبر بها فروضه التي تتصل بالأسباب والنتائج، والتي يصف بها ويسجل ما مضى من وقائع وتفسيرها على أسس علمية دقيقة بغية الوصول إلى حقائق وتعميمات تساعده على فهم الماضي والحاضر والتنبؤ إن أمكن بالمستقبل.
- مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وجميع تفاعلات الحياة فيه.
- ويعرف "عامر مصباح" أيضا المنهج التاريخي، بأنه: "مجموع الخطوات العلمية التي تساعد المؤرخ على قراءة وبحث ماضي الشعوب والأمم وتسجيل أحداث تاريخها كما وقعت، وترتيبها واستخلاص النتائج وبيان القوانين التي تحكم سلوك البشر، وصياغة كل ذلك بطريقة يسهل على الأجيال الحاضرة فهمها بما يساعد على فهم الواقع والتنبؤ بالمستقبل".
- مجموع الطرق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية والمواقف لتحديد طبيعة نشأتها والعوامل التي أدت إلى تكوينها مما يساعد على فهم الظاهرة التاريخية بالمعنى الحاضر ، ومن ثم إمكانية التنبؤ مستقبلا، وذلك بعد استخلاص العلاقة بين الأسباب والنتائج المتعلقة بالظاهرة".
- يعرف راد كليف براون المنهج التاريخي، على أنه: "أسلوب تتم بواسطته دراسة الأحداث الحالية، بالرجوع إلى الأحداث التي وقعت في الماضي".
- أيضا، المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوثائق التاريخية ونقدها، يقوم بواسطته الباحث التأليف بين الحقائق وتفسيرها، بالرجوع إلى الماضي من أجل فهم الحاضر، والأخذ بالتغيرات والتطورات التاريخية التي تساهم في تحول تلك الظاهرة وتطورها.

مما سبق من هذه التعريفات يتضح لنا، أن المنهج التاريخي المستمد من دراسة التاريخ، يهتم بدراسة ظواهر حدثت في الماضي، حيث يتم تفسيرها بهدف الوقوف في مضامينها والتعلم منها و/أو معرفة مدى تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات واستخلاص العبر منها، فهذا المنهج الذي يساعد على فهم الحاضر باستحضار الماضي، يعمل على تنمية معرفة الباحث ويثري أفكاره لحل مشكلات الحاضر وتسليط الضوء على اتجاهات مستقبلية(التنبؤ).

أهمية وأهداف المنهج التاريخي:

أهمية المنهج التاريخي تكمن في الجانب التفسيري التحليلي الذي يمكن أن يمدنا به في دراسة الظواهر الماضية التي وُلدت في ظروف زمنية لها خصائصها، أو دراسة ظاهرة حاضرة تمتد جذورها إلى الماضي.

إذا، يركز المنهج التاريخي على دراسة تاريخ ظاهرة أو أحداث تمت في الماضر ولا تزال تحدث في الحاضر، ليقوم هذا المنهج بتحليل وتفسير بيانات ومعلومات ونتائج الدراسات الخاصة بهذه الأحداث والظواهر، بهدف تحديد التغيرات والتطورات التي تعرضت لها، وتحديد العوامل والاسباب المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر، التي ساهمت في تشكل صورتها الحالية، ويأتي ذلك من خلال دراسة نتائج البحوث السابقة أو البيانات والمعلومات المجمعة سابقا حول أي ظاهرة أو حدث.

فالمنهج التاريخي لا يكتفي بسرد الوقائع وتكديسها، ولكنه يقدم تصوره للظروف والمحيط الذي تتحكم في ميلاد الظواهر واندثارها، ويحاول هذا المنهج أن يصل إلى إيجاد القوانين التي تحكمت في ذلك، وهو يستهدف التعميم بعد استخلاص العلاقات الموجودة بين ظاهرة أو حادثة ما والحالة والوضعية أو الظرف الذي وجدت فيه، لكن من أجل تحقيق ذلك وجب الاخذ بعين الاعتبار أن الحادثة التاريخية لا تتكرر بنفس النمط أو الشكل، لأن التاريخ لا يعيد نفسه والحادثة التاريخية فردية ولدتها ظروف لا يمكن إعادتها.

فهذا المنهج القائم على التوثيق والتفسير للأحداث التاريخية، يهدف للوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية؛ ومن أهداف البحث التاريخي أيضا، تحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر، فالخلفية التاريخية تساعد في فهم الحاضر، فالمنهج الذي يسمى أيضا **"استردادي"**، يعتمد على عملية استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الاحداث والحقائق، لتحليل القوى التي صاغت الحاضر وشكلت الظواهر التي تحدث اليوم ومستقبلا.

ويمكن إبراز أهمية هذا المنهج، أنه:

- يساعد استخدامه في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.
- يساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية للظواهر والأحداث.
- يؤكد الأهمية النسبية للتفاعلات المختلفة التي توجد في الأزمنة الماضية وتأثيرها.
- يتيح الفرصة لإعادة تقييم البيانات بالنسبة لفروض معينة أو نظريات أو تعميمات ظهرت في الزمن الحاضر دون الماضي.

خطوات المنهج التاريخي:

خطوات البحث التاريخي لا تختلف في أساسها تقريبا عن خطوات مناهج البحث الأخرى لعلم السياسة، والتي تبدأ بتحديد المشكلة؛ وصياغة الفروض (وطرح التساؤلات)؛ وجمع البيانات بطريقة منظمة؛ والتقويم الموضوعي للبيانات والمعلومات؛ ثم التثبت منصحة الفروض او دحضها. وعليه فإن خطوات البحث التاريخي وعملياته الاساسية على النحو التالي:

الخطوة الأولى: اختيار موضوع البحث

إن كل دراسة تاريخية تبدأ أيضا باختيار موضوع معين أو مشكلة معينة من الموضوعات، او المشكلات التاريخية التي تحتاج إلى دراسة أو بحث، ويرى عبد الرحمن سيد سليمان أن اختيار موضوع معين للبحث التاريخي يتحدد عادة في ضوء الإجابة عن أسئلة تستخدم في نفس الوقت كمعايير لاختيار موضوع البحث:

- أين وقعت الأحداث/الظاهرة التي سيدرسها الباحث؟
- ماهي الجهات الفاعلة التي دارت حولهم أو اتصلت بهم الاحداث أو الوقائع؟
- متى وقعت هذه الاحداث/الظواهر؟
- ولماذا وقعت؟

الخطوة الثانية: تحديد مشكلة البحث

البحث التاريخي شأنه شأن البحوث الأخرى، يتم فيه تحديد المشكلة إما عن طريق مطالعة مستفيضة في الوثائق التاريخية، أو أن تكون إشكالية أثارتها بحوث سابقة، أو مشكلات تاريخية مزال يتحدث الناس عنها ولم يفهموها.

وهذا البحث الذي ينطلق من مشكلة واضحة وسهلة التناول، يجب أن تتوفر حولها (أي مشكلة الموضوع المحدد) بيانات كافية، بما يساهم ذلك في دراستها بشكل سليم، كون الباحث سيعمل في حدود ما توفر له من بيانات، لأن عدم كفاية البينات تؤثر على اختبار الفروض وتكون النتائج والاستخلاصات الخاصة بإثبات هذه الفروض أو دحضها على وجه التقريب .

الخطوة الثالثة: تحديد مصادر البيانات (جمع مصادر المعلومات)

في هذه الخطوة يبدأ الباحث بجمع المادة العلمية التاريخية ذات الصلة بالموضوع الذي وقع اختياره عليه، من كافة المصادر الاصلية بأشكالها المختلفة (المخطوطات، المذكرات الشخصية، الاصول المطبوعة، الموسوعات التاريخية،،،)، وتقسم هذه المصادر إلى قسمين:

- المصادر الأولية للمعلومات *(primary sources)*: وتضم المعلومات والبيانات الاصلية التي تكون اقرب ما يمكن إلى الواقع وتعكس الحقيقة، أي انها تلك المصادر التي تحتوي على المعلومات المباشرة كالوثائق الاصلية، والتقارير التي كتبها المشاركون الفعليون، وقد تكون حكومية وتابعة لمؤسسات رسمية، أو إرث باقي من فرد أو جماعة، أو ثقافة، ما إلى ذلك.
- المصادر الثانوية للمعلومات: وهي التي تعتمد على المصادر الاولية وتقوم بتصنيفها او تلخيصها أو مراجعتها، بمعنى آخر، تلك المصادر التي تحتوي على المعلومات غير المباشرة، كالكتب ودوائر المعارف أو التقارير التي يكتبها أقارب المشاركين أو المهتمين بالموضوع، ويمكن القول أن المصادر الثانوية هي نقل عن مصدر او مصادر أولية بوصفها أو إعادة قراءة لها.

طبعا، يفضل استخدام المصادر الأولية بالدرجة الاولى، فكلما كانت البينات والمعلومات من مصدر مباشر دون إعادة قراءة لها يمكن أن تؤثر فيها ذاتية المؤرخ، فإنها تكوت أقرب للدقة. في نفس الوق، هذا لا يقلل من أهمية المصادر الثانوية.

الخطوة الرابعة: نقد/تقويم البيانات والمعلومات

لابد في منهج البحث التاريخي من تقويم المادة التاريخية (سواء كانت اولية أو ثانوية)، من أجل التأكد من صدق المصدر وصحة المادة التي يتضمنها أو ينقلها، بالفحص والتمحيص للتأكد من دقتها وصدق محتواها إذا تعرض للتعديل المقصود أو غير المقصود بمرور الزمن. وهناك نوعين من التقويم/النقد:

- النقد الخارجي: أو التقويم الخارجي الذي في ضوئه يمكن الحكم على مدى أصالة الوثائق موضع التناول، وتوجد عوامل كثيرة تحدد أصالة المصدر مثل: التحقق من مكانة المؤلف وشخصيته والتوقيت الذي كتبت فيه ومكان صدورها، بطرح مجموعة من الأسئلة: متى ظهرت الوثيقة أو المصدر؟ من هو الكاتب أو المؤلف؟ وهل هو كاتب النسخة الاصلية؟ متى وأين ظهرت الوثيقة الاصلية؟ وهذه الأصلة تمكن من تحديد المصادر وتصنيفها، وفي نفس الوقت، تقدم للباحث قدرة للتأكد من لغة الوثيقة وعلى اكتشاف التزوير أو التعديل أو الحذف للحقائق ، ويأتي هذا قصد التأكد من عوامل الزمان والمكان وطبيعة الوثيقة مع الوقائع الفعلية المرتبطة بالأحداث/الظواهر موضع البحث.
- النقد الداخلي: يركز النقد الداخلي للوثائق التاريخية من مدى صحة ودقة محتوى المادة التي تحتويها الوثيقة التاريخية، يتم من خلالها طرح أسئلة لها علاقة بموضوع الوثيقة: هل هناك أي تناقض في الوثيقة مع الموضوع؟ هل قدم المؤلف الحقيقة الكاملة أم حاول تشويه واقع الحقائق أو تحريفها؟ هل هناك وثائق كتبت في نفس العصر تتفق أو تختلف عن ما جاء في تلك الوثيقة؟ وهل كتبت الوثيقة بناءا على ملاحظة مباشرة أو غير مباشرة.

ولكن هذا لا يعني، أن عملية النقد الخارجي والداخلي عشوائية، بل عملية تتم وفق أصول وقواعد لا تقلل من قيمة مصدر أهمل ذكر بعض الاحداث، او مؤلف كان جاهلا لها لعدة أسباب، لذلك يتوجب في البحث التاريخي الاعتماد أكثر من مصدر /وثيقة للتأكد من حقائق الأحداث ووقائع الظواهر، للمقارنة. (المرجع: عبد الرحمان سيد سليمان، "مناهج البحث" (القاهرة: عالم الكتب، 2014) ص 31. +صوالحي ليلى، محاضرات في مقياس منهجية العلوم السياسية 2 (مطبوعة مقدمة للسنة الأولى جذع مشترك علوم سياسية، بقسم العلوم السياسة، جامعة غرداية، 2021-2022)، ص.ص 31-32.

النقد الخارجي	النقد الداخلي
• هل كتبت الوثيقة بعد الحادث أو وقوع الظاهرة أم بعد مرور فترة زمنية؟ • هل هناك ما يشير إلى عدم موضوعية كاتب الوثيقة؟ • هل الكاتب في صحة جيدة أثناء كتابة الوثيقة؟	• هل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط شخص آخر؟ • هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذي كتبت فيه؟ • أم تتحدث بمفاهيم ولغة مختلفة؟

• هل الظروف التي تمت فيها كتابة الوثيقة تسمح بحرية الكتابة؟ • هل هناك تناقض في محتويات الوثيقة؟ • هل تتفق الوثيقة في معلوماتها مع وثائق اخرى تبدوا أكثر صدقا؟	• هل كتبت الوثيقة على مواد مرتبطة بالعصر أو على ورق حديث؟ • هل هناك حذف أو تغييرات أو إضافات في الوثيقة؟ • هل تتحدث الوثيقة عن حقائق لم تكن معروفة في ذلك العصر؟ • هل يعتبر المؤلف مؤهلا للكتابة في موضوع الوثيقة؟ أو غير متحيز في تناول الأحداث؟

الخطوة الخامسة: تحليل/تركيب البينات والمعلومات

في هذه الخطوة يبدأ الباحث بتوقع أسباب الظواهر والأحداث التي يرغب في دراستها حتى تساعده على تفسيرها والتحكم فيها، فبعد صياغة الفرضيات اللازمة، ينتقل الباحث إلى اختبار مدى صدق ودقة معالجته للبيانات والمعلومات التي تم تجميعها حول الظاهرة المدروسة، مما يؤدي إلى قبول أو رفض الفرضيات؛ أو التوصل غلى فروض تفسيرية أكبر للظاهرة التي تساعدنا على التحكم بالظاهرة و إمكانية التنبؤ.

الخطوة السادسة: العرض التاريخي وكتابة تقرير البحث

كتابة العرض/تقرير البحث التاريخي أو ملخص البحث هي الخطوة الأخيرة من خطوات المنهج التاريخي، حيث تتطلب ان يعرض الباحث ملخصا لما تم عرضه في الجزء النظري والميداني في البحث، والباحث عند كتابة تقرير البحث أن يعرض مقدمة تمهيدية لموضوع البحث تتضمن الفرضيات ومعلومات تاريخية تخص الموضوع، بالإضافة لإعطاء الباحث تصورا عن الدراسات السابقة للبحث، مع ضرورة توضيح أهداف وأسئلة فرضيات البحث ومنهجيته للإجابة على الأسئلة واختبار الفرضيات المختارة بواسطة المنطق أو بالأدوات والوسائل النقدية المناسبة وعرض الحقائق والبراهين و الدلائل التاريخية للتحليل والتقدير للوصول إلى النتائج والتوصيات للمستقبل.

- من حيث الاستعمال، المنهج التاريخي كطريقة بحث، يعنى بالتأريخ للعلوم جميعها عبر التساؤلات الثلاثة: كيف نشأ(ت) ؟ وكيف تطور(ت)؟ ثم كيف أصبح(ت)/ آل(ت)؟

مزايا وعيوب المنهج التاريخي:

للمنهج التاريخي مزايا وعيوب شأنه شأن مناهج البحث العلمي المختلفة:

✓ **ومن مزايا المنهج التاريخي:**

- يعتبر منهج ناقد يبحث عن الحقيقة يتبع من خلاله الباحث خطوات الأسلوب العلمي المرتب والمنظم والهادف، وهي عناصر الشعور بالمشكلة، وتحديدها، وصياغة الفرضيات المناسبة، ومراجعة الدراسات السابقة، وتحليل النتائج وتفسيرها وتعميمها.
- الاعتماد على الملاحظة غير المباشرة في هذا المنهج لا ينقص من قيمة البحث، خاصة إذا ما تم اخضاع البيانات للنقد والتمحيص والدقيق.

لا يعتبر الرجوع إلى الوثائق والسجلات والتقارير السابقة والآثار والمقابلات مع الاشخاص الذين عايشوا الاحداث، نقطة ضعف في البحث التاريخي وذلك إذا استخدام الباحث المنطق والتحليلي والتمحيص للبيانات والمعلومات المستخدمة.

- أهمية اعتماد الباحث على المصادر الأولية والثانوية في جمع المعلومات ذات الصلة بمشكلة البحث، لا تمثل نقطة ضعف في البحث، إذا تم القيام بالنقد الداخلي والخارجي بطريقة صحيحة وعميقة لهذه المصادر.

✓ **أما عيوب المنهج التاريخي فتتمثل فيما يلي:**

- لا يقوم على الملاحظة المباشرة للظواهر والاحداث، فالمؤرخ يتعامل مع ظواهر حدثت في الماضي وانتهت، وتفسيره لذلك يأتي باعتماده طريقة تقليدية في جمع البيانات التي تتلخص في آراء الآخرين ونقلا عن مصادر كتبها أشخاص آخرين، وبالتالي عدم دقة المعلومات التي يمكن التلاعب بها، تحريفها،،، إلخ.
- لا يعتمد على التجربة العلمية للوصول إلى الحقائق، ومصدر المعرفة الأساسي فيه هو الثار والسجلات وأحيانا روايات الناس والافراد.
- المعرفة التاريخية ليست كاملة، بل تقدم صورة جزئية للماضي نظرا لطبيعة هذه المعرفة المتعلقة بالماضي، ولطبيعة المصادر وتعرضها للعوامل التي تقلل من درجة الثقة بها مثل التلف، التزوير، التحريف، التحيز.
- صعوبة تطبيق الاسلوب العلمي للبحث حول الظاهرة التاريخية محل الدراسة، نظرا لكون دراستها بواسطة هذا المنهج يتطلب اسلوبا مختلفا وتفسيرا مختلفا.
- صعوبة تكوين الفرضيات والتحقق من صحتها، نظرا لصعوبة البيانات التاريخية وتعقدها، إذا يصعب تحديد علاقة السبب بالنتيجة على غرار ما يحدث في العلوم الطبيعية/المادية.
- صعوبة إخضاع البينات التاريخية للتجريب، وهو الامر الذي يجعل الباحث يكتفي لإجراء النقد بنوعية الداخلي و الخارجي، لذلك يصنف من البحوث النوعية.
- صعوبة التعميم والتنبؤ، لارتباط الظواهر التاريخية بظروف زمنية ومكانية محددة يصعب تكرارها مرة أخرى من جهة، كما يصعب على المؤرخين توقع المستقبل.
- لا يمكن الباحث التاريخي مهما كان دقيقا وحريصا أن يصل إلى كل الحقائق المتصلة بمشكلة الدراسة، فالمعرفة من خلال المنهج التاريخي تبقى جزئية تستند إلى ادلة جزئية ولن يستطيع الباحث اختيار كل هذه الأدلة.

على الرغم من عيوب المنهج التاريخي، مثل تحيز المؤرخين واختيار المصادر والتفسيرات القائمة على الآراء الشخصية في المصادر المختلفة، فإن مميزاته تجعله مهما ومكملا للمناهج الاخرى في البحث العلمي، حيث يساهم في: توثيق الأحداث التاريخية، فهم السياق التاريخي للظاهرة، تطوير المهرات التحليلية، استخدام مصادر متنوعة، فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل،،،إلخ.